فقل لنا كذلك : أي الفنون يمارس جورجياس ؟ وأى الأسماء يصلح له ؟؟ أو — بالأحرى — قل لنا أنت يا جورجياس : أى الأسماء يجب أن نسميك به ؟ وبأى الفنون تشتغل ؟[1]

ج — بالبيان يا سقراط !

ط — إذاً يجب أن نسميك معلم بيان ؟

ج — نعم ، ومن المعلمين المجيدين يا سقراط ، إذا ما شئت أن تسمينى بما أفخر به ، على حد تعبير هوميروس !

ط — ليكن ما تريد !

ج — حسن — سمنى إذاً هكذا !

ط — أتقول إنك قادر على تعليم هذا الفن للغير ؟

ج — هذا ما أمتهنه هنا وفى كل مكان !

ط — وهل تريد يا جورجياس أن تستمر آنا مسئولاً وآنا مجيباً كما نفعل الآن ، مرجئاً هذه الخطب الطويلة — كتلك التى بدأ بولوس بإحداها — إلى وقت آخر ؟ إن يكن نخذ فيما وعدتنا به ، واجعل إجابتك على كل سؤال قصيرة

ج — هناك يا سقراط من الإجابات ما يحتاج بالضرورة إلى سمة وبسط ، ولكنى سأحاول مع ذلك أن أجيب بكل اختصار لأن من بين الأشياء التى تعجبنى من نفسى أنه لا يوجد من ينطق بنفس الاجابة فى أقل تعبير كما أفعل[2]

ط — هذا ما يجب هنا يا جورجياس . فأرنى إذا ذلك الاختصار الفريد ولتترك الأقوال المطولة إلى فرصة أخرى

ج — سأسرك . وسترى أنك لم تسمع شخصاً يشرح بأخصر من قولى !

« يتبع »

محمد موسى طاظا

(١) يلاحظ أن جورجياس يهرب من الاجابة ويصمت عند أول فرصة تتاح لتلميذه بولوس . ولكن سقراط له بالمرصاد

(٢) أحسب غرور السفسطائى هنا واضحاً « المعرب »

اطلب مؤلفات
الأستاذ النشاشيبي
وكتابه
الإسلام الصحيح
من : مكتبة الوفد ، شارع الفلكى (باب اللوق)
ومن : المكتبات العربية المشهورة

بين مذهبين

للأستاذ محمد سعيد العريان

« لقد مات الرافعى — رحمه الله — فانقطع بموته ما كان بينه وبين خصومه من عداوات . وما أريد أن أوقظ فتنة نائمة يتناولنى لهيبها أولَ ما يتناول ؛ فما لى طاقة على حمل العداوة ، ولا اصطبار على عنت الخصومة ، ولا احتمال على مشقة الجدال ؛ وإنما هو تاريخ إنسانٍ له على العربية حق جحده الجاحدون فنهضت للوفاء به ؛ فإن كنت أكتب عن أحد من خصُومه أو أصحابه بما يؤلم أو يسىء ، فما ذلك أردت ، ولا إليه قصدت ، ولا به رضيت ؛ ولكنها أمانة أحملها كارهاً ، وأضطلع بعبئها مضطراً ، لأؤديها إلى أهلها كما تأدّت إلىّ . وإنى لأعلم أنى بما أكتب من هذا التاريخ أضع نفسى بالموضع الذى أكره ، وأتعرض بها لما لا أتوقع ؛ ولكن حسبى خلوص النية ، وبراءة الصدر ، وشرف القصد ؛ ولا علىّ بعد ذلك مما يكتب فلان ، ولا مما يتوعد به فلان ؛ فإن كان أحد يريد أن يصل بى ما كان بينه وبين الرافعى من عداوة فانقطعت ، أو يربط بى رابطة كانت بينه وبين فلان فانفصمت ، أو يتخذ من الاعتراض علىّ ذلفى إلى صديق يلتمس ودّه ، أو يجعل مما يكون بينى وبينه سبيلاً إلى غرض يرجو النفاذ إليه ، أو وسيلة إلى هوى يسعى إليه — إن كان أحد يريد ذلك فليمضِ على إرادته ، وإن لى نهجى الذى رسمْت ؛ فلنفترق بنا الطريق أو تلتقِ على سواء ، فليس هذا أو ذاك بمانعى من المضىّ فى سبيلى ومن الله التوفيق !

« وهذه خصومة أخرى من خصومات الرافعى ، ومعركة جديدة من معاركه ؛ وإنى لأشعر حين أعرض لنبش الماضى فأذكر ما كان بين الرافعى والعقاد ، أنى كمن يدخل بين صديقين كان بينهما فى سالف العمر شحناء ثم مسحت على قلبيهما الأيام فتصافيا ، فانه ليذكّر بما لا ينبغى أن يُذكر ، والموت يحسم أسباب الخلاف بين كرام الناس ؛ فاذا كان بين الرافعى والعقاد عداوة فى سالف الأيام فقد انقطعت أسبابها ودواعيها ، فان بينهما اليوم لبرزخاً لا تجتازه الأرواح إلى أخراها إلا بعد أن تترك

شهواتها وأحقادها وعواطفها البشرية . فهنا ناموس وهناك ناموس ، ولكل عالم قوانينه وشريعته ؛ فما تخلص ضوضاء الحياة إلى آذان من فى القبر ، ولا ينتهى إلى الأحياء من عواطف الموتى إلا ما خلقوا من الآثار فى دنياهم ... هنا رجل من الأحياء وهناك رجل فى التاريخ ، وشتان ما هنا وهناك ؛ فما أتحدث اليوم عن خصومة قائمة ، ولكنى أتحدث عن ماض بعيد . والرافعى الذى يحيا بذكراه اليوم بيننا غير الرافعى الذى كان ؛ فما ينبغى أن تجدد ذكراه ماضى البغضاء . وهذا عذيرى فيما أذكر من الحديث ... »

* * *

... ذلك قول قلته منذ بضعة أشهر وقدمتُ به للحديث عما كان بين الرافعى والعقاد ؛ وكأنما ألقىَ إلىَّ من وراء الغيب أن كاتباً مثل الأستاذ سيد قطب سيحشر نفسه فيما لا يعنيه وما لا يصلح له ، وما لا يُحسن أن يقول فيه ، ليحاول أن يجعل التاريخ غير ما كان ، مظاهرة لصديق ، أو انتصاراً بالباطل ...

ولقد كنت أكرم (صديقى) أن يكون هو الذى يحاول هذا العبث إسرافاً فى حسن الظن بفهمه وأدبه وسمو نفسه ، ثم كان ما لم أكن أتوقع ...

وإنى لأشعر الساعة — وقد خرجت من الصمت الذى فرضته على نفسى شهرين رعاية لحق الصديق وإبقاء عليه — بشىء من الألم يحزنى فى صدرى ويجعل القلم يضطرب بين أناملى ؛ فما سهلٌ على مثلى أن ينسلخ عن ماضيه وينكر صاحبه ليقول على ملأ من الناس : « يا هذا ، لستُ منك ولست منى ... ! » ولكن سيد قطب قد قالها فما بدٌّ لقائل أن يقول ...

لقد كان بين الرافعى والعقاد عداوة وشحناء سارت مسير المثل بين أدباء الجيل ، فهل كان من الحتم تبعاً لذلك أن يكون سعيد العريان وسيد قطب عدوين ، لأن أولهما يؤرخ للرافعى والثانى يجرى فى غبار العقاد ... ؟

ولكن سيد قطب يرشح نفسه ليكون فى غد شيئاً له فى الأدب خطر ومقدار ، وما يرى نفسه بالغاً هذه المنزلة إلا أن يجرى على نهج صاحبه ويتأثر خطاه ؛ فكان أول سعيه إلى غايته أنه احتقب كنانته وخرج إلى الطريق يرمى الناس باليمين وبالشمال لا يعنيه أين يصيب ولا من يصيب ولو كان أحرص الناس عليه وأرأفهم به ...! وكان إلى سعيد العريان أول ما راش من سهامه يا صديقى الذى كان ... لقد أخطأت الهدف المؤمَّل ... !

* * *

ما بى فى هذا المقال أن أتحدث عن الرافعى ولا عن العقاد ، ولكنّ مذهبين سماهما سيد قطب أريد أن أضرب لهما مثلين : أما أحدهما فقول سعيد العريان يعتب على صاحبه : « ... فإن كان هذا هو كل عذر الأستاذ سيد قطب من تمزيق أكفان الموتى بأظفاره فقد بلَغَ وأبلغ ... »

وأما ثانيهما فهو قول الأستاذ قطب نفسه يردّ على عتاب صاحبه : « ... إن سيد قطب ليس هو الذى يمزق الأكفان بالأظفار ، والذى يمزّق بظفره « مخلوق آخر » ، أكرم آدابى وآداب الناس أن أقول : إن الأستاذ (العريان) أو أحد زملائه من « فصيلته » ! خشية أن تتدهور خطوة أو خطوتين بعدها فيصبح من النقاش الأدبى المترف به أن يقول الواحد للآخر : « يا ابن الـ ... » ، ويكون هذا من أساليب النقاد ! »

تُرَى هل عرف القراء فرق ما بين المذهبين ؟

نعم ، ولكن لا بأس من زيادة البيان والإيضاح ، فقد يكون فى القراء طائفة من أمثال الأستاذ سيد قطب ، لا يقنعون بغير ما هو صريح الدلالة فى موضعه وإن كانوا مثله (إخصائيين) فى اللغة وفى أساليب البيان ...

لقد ظل المرحوم الرافعى دائباً فى تجديد الآداب العربية سبعاً وثلاثين سنة ، يتردد اسمه فى المحافل والنوادى ومجامع الأدب ، فليس بين قراء العربية أحد لا يعرفه ، وسيد قطب واحد من قرائها الاخصائيين فى اللغة كما قد يعرف القراء ، ولكنه مع ذلك لم يشرع قلمه ليجرّد الرافعى من « النفس » ومن « الانسانية » ومن « العقيدة » وليزيّف أدبه ويكشف عيبه إلا حين غيّبه التراب وآن أوان ذكراه . فهل يكون ذلك شيئاً غير تمزيق أكفان الموتى بأظفار ... ؟

ليس الأستاذ سيد قطب — ولا شك — كلباً ، ولا ذئباً ، ولا ثعلباً ، ولا شيئاً من ذوات الظفر والناب ؛ ولكنه مع ذلك — عندنا — يمزق أكفان الموتى بأظفار ...

هذه هى عربيتنا نحن أنصار المذهب القديم ، فبأىّ عربية

فهمها الأديب الناقد المجدّد الإخصائى فى اللغة وفى أساليب البيان الأستاذ سيد قطب ؟ . . . لقد فهم أننا نجرّده من إنسانيته وأننا نعنى أنه . . . أنه . . . أنه ذو ظفر وناب . . . !

وأساء الظن بآدابنا وبنفسه . . . وردّ شتيمة بشتيمة ، وزاد فى الردّ عبارة يريد أن يجعلها من أساليب النقّاد . . . وعفا الله عنه ؛ فما يملك أحدٌ يناله سيد قطب بالإساءة إلا أن يعفو عنه . . . !

. . . معذرة !

لقد فاتنى أن أنوّه بفضيلة من فضائل سيد قطب تتصل بهذين المثلين ، وإنها لسبيل من مذهبه فى أدب « النفس » وأدب « الطبع » ، وإنها لتكشف عن أسلوب من أسلوبه . . . إن سيد قطب لم يشتم ، ولم يقل شيئاً يستحق العفو أو المؤاخذة . إنه يقول فيما يرد : « . . . إننى أكرم آدابى وآداب الناس أن أقول . . . » أتراه قال شيئاً ؟ لا ، إنه ليُكرم آدابه وآداب الناس أن يقول ؟ فمِن النجنّى عليه أن تزعم أنه قال ... أيعرف سيد قطب شيئاً بهذا الأسلوب فيما يتحدث الناس ؟ . . . أما أنا فأعرف : أعرف (مجدّدين) غيره من الصعاليك والسوقة يهمّ أحدهم أن يشتم خصمه فيقول له ما ترجمته فى مثل لغة الأستاذ قطب : « إننى أكرم آدابى أن أقول . . . » ويكون بذلك عند العصبة المتجمهرين حولهما مؤدّباً كريماً عفيف اللسان لأنه لم يقل شيئاً ، ويكون بذلك مجدّداً فى أسلوب الشتم وإن لم يعترف سيد قطب بأن مثله من المدرسة الجديدة . . .

. . . ويبقى بعد ذلك قول الله تعالى : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ؟ » فيكون مبناه على هذا القياس فى مذهب الأستاذ قطب : « من منكم تهفو نفسه إلى أكلة شهية فيها مسلوق وقديد ومشوىّ من لحم بنى آدم ؟ » ويكون جواب هذا الاستفهام صوت « إنسان » يقول : « أنا . . . ! » فيمسخه الله كلباً أو ذئباً أو ثعلباً أو شيئاً من ذوات الظفر والناب ...

أليس هذا هو مدلول هذا الاستفهام عند من لا يؤمن بالكناية والاستعارة والمجاز فى أساليب البيان ؟ والله أعلم بمراده . . !

* * *

أرانى أطلت فى شرح هذا المثال قبل أن أخلص إلى ما أريد ، وما تثبت القاعدة بمثال واحد ؛ فهذا مثال آخر : يقول سعيد العريان فى وصف المرحوم الرافعى حين يهم أن يجمع خواطره لموضوعه قبل أن يكتبه : « . . فكان يرسل عينيه وراء كل منظر ، ويمد أذنه وراء كل حديث ، ويرسل فكره وراء كل حادثة ، ويُلقى باله إلى كل محاورة ... »

فيقول سيد قطب : « ... إن المرحوم الرافعى لم يكن يمد أذنه وراء كل حديث كما يعرف من يعرفه ؛ ولم تكن هذه الحاسة من أدواته فى التنبه والتأمل ، فكان من (الصدق) ألا تذكر دون أن يضيره هذا أو يعيبه ، إذ كان هذا مما لا يعاب ... »

فالأستاذ الأديب الناقد سيد قطب الاخصائى فى اللغة ، لا يفهم من كلمة « يمد أذنه وراء كل حديث » إلا معنى السماع بالأذن ؛ وإذا كان الرافعى معطّل الأذن لا يسمع فان هذا التعبير ليس من الصدق فى الرواية . وذلك هو المذهب الجديد ...

... ويبقى بعد ذلك قول الله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » فتكون دلالته عنده على معنى من معنيين : أن لله يداً ، أو أن ذلك ليس من (الصدق) فى تعبير القرآن ... وأستغفر الله العظيم .. !

وقال لى قائل من صحابتى : « إنك لتتعسف فى هذا التفسير وفى تطبيقه على المذهب (الجديد) ؛ وإنك « لمعذور فى هذا الجهل لأنك لم تختلط بالعقاد أولا ، ولأن نفسك لم تتفتح لأدب العقاد فتفهمه ثانيا ... ! » إن سيد قطب ليس من الجهل بحيث لا يفهم : « يمد أذنه وراء كل حديث » على وجهها ؛ ولكنه يعيب عليك فى التعبير أن تُعنَى بما سماه « استيفاء الأشكال » وتغض النظر فى سبيل ذلك عن (الصدق) فى العبارة ... »

قلت لصاحبى : « لست أفهم ما يعنيه بقوله « استيفاء الأشكال » فما يكون الاصطلاح الجديد ؟ »

قال : « وأنت معذور فى هذا أيضاً ، لأنك لا تستطيع أن « تماشى الأستاذ قطب فى سموقه » الفكرى وفى مبتكراته العلمية التى أثمرتها دراساته الشاملة لكل ما نُقل إلى العربية من الآداب الإفرنجية ومن المباحث النفسية الحديثة ونظريات العقل الباطن والتحليل النفسى والسلكية ، ومن المباحث الاجتماعية والمذاهب القديمة والحديثة ومن مباحث علم الأحياء ونظرية دارون ومباحث الضوء وتجارب الكيمياء ونظرية اينشتين والنسبية وتحطيم الذرة ووظائف الأعضاء وو و و »

قلت : « حسبك ! إنما أريد أن أعرف معنى « استيفاء الأشكال » وما يقصد بها ! »

قال : « ألا تعرف فى « البديع » شيئا يسمونه ... ؟ »

قلت : « يسمونه ماذا ؟ »

قال : « أنظِرْ لى حتى أسأل سيد قطب فقد نسيت ... ! »

وحسب سيد قطب أنه جاء بجديد حين جاء بما سماه « استيفاء الأشكال » ، ونسى ما سماه به علماء البديع منذ كان ابن المعتز ؛ ثم نسى ثانية فسماه عيباً لأنه سمع العقاد مرة يعيب شاعراً بالتزام محسّنات البديع ...

ولكنه مع ذلك (إخصائى) فى اللغة التى نعبر بها ... !

* * *

أما بعد فهذا شيء من أشياء تفرق بين مذهبين سماها الأستاذ قطب ؛ وما كان لى أن أعنى بالحديث عنهما إلا لأنبهه إلى وجوب « استيفاء الوسائل » قبل أن يتندب للنقد ؛ وما كان لى أن أعنى بتنبيهه إلى ذلك لولا علمى بأن ذلك يفيده ويجدى عليه ، ويعينه على فهم ما يكتب أهل الأدب فلا يتورّط فيما تورط من الحديث عن فصائل ذات الظفر والناب فيسيء إلى نفسه وإلى صحابته !

وليس ينتبه عن استيفاء هذه الوسائل أن يدعى ويستطيل ويبالغ فى الإعجاب بنفسه ليكون أديباً وناقداً له مكان ملحوظ ومنزل مرموق

وإنى على ما ساءنى من صديق لأرجو أن يقبل نصحي خالصاً لله فيكف عما هو فيه ؛ فلقد كشف بهذا الذى يكتب عن أشياء فى نفسه لم يكن يعرفها إلا الخاصة من أصحابه . ولقد جلا على القراء كل مايستطيع أن يجلو من ألفاظ « الطرافة والحيوية ، والسموق ، ولفتات الذهن ، والاستغراق » مما يجعل وراء كل بيت فارغ يحاول أن ينثره من شعر العقاد ليثبت له ما ليس فيه ؛ وقد نثر كل ما فى كنانته من ألفاظ « الجمود ، والاستغلاق ، وضيق الفهم » مما يحاول أن يرمى به كل من يعرض له من مناظريه .

فإن سمع أراحنا وأراح نفسه ، وإلا فقد علمتُ وعلم القراء ما يدفعه إلى هذه المحاولات ؛ فما بي حاجة بعدُ إلى مناقشته والرد عليه ؛ ولقد أكرمته من قبل فسكتّ عنه حفاظاً عليه وحرصاً على مودته ، وإنى لأكرمه وأكرم نفسى من بعدُ بالسكوت عنه حتى يفرغ ؛ لعل فى ذلك شفاء أو وفاء أو قضاء لحاجة نفسه

والسلام عليه

« شبرا » محمد سعيد العريان

بين العقـــاد والرافعي

١ — صرخة مفزوع

٢ — ابن الرومى حياته من شعره

للأستاذ سيد قطب

— ١٠ —

نحن نعتذر لأخينا صاحب «العصور» وناشر «على السفود» ونحس فى أنفسنا استعداداً للعطف على صرخته فى العدد الماضى من الرسالة !

نحن نعتذر ، فالظاهر أن الضربة التى ووجه بها كانت أعجل مما ينتظر وآلم مما يحتمل ، لأنها خلعت عنه لحية الوقار المستعار وشعار العدالة المصطنع ، وقد شاء أن يلوح بهما فى عام ١٩٣٨ فبدا للناس على حقيقته يحلل الأمر عاماً ويحرمه عاماً ، ويدور فى التحليل والتحريم حول الأشخاص فى الوقت الذى يعيب فيه نصرة الأشخاص !

هذه هى المسألة يا صاحب العصور ، ونحن نعذرك فى المهاترة التى أجبتنا بها ، ونعذر أنفسنا إذا وقفنا لحظة على أول درجات السلم فى هذه المهاترة ، لنرتفع بعدها إلى مستوانا ، ونأخذ فى القضية الأولى التى تهم القراء

ونحن حين نعتذر إليك عن توجيه تلك الضربة ، نعتذر لأنفسنا عن احترامنا لك إلى هذا الحد الذى أوجب البطر ، ولو استطعنا من أول الأمر أن نهبط إلى المستوي الذى هبطت إليه فى كلمتك الأخيرة لتغير وجه المسألة !

أنت يا سيدى — أولا — لا تفهم الكلام ، ومن هنا كان تفسيرك للجملة التى أقول فيها :

« وأننا من أخلص تلاميذ مدرسة هذا الكاتب لطريقته ، وأشد الناس فهماً لها ، واقتناعاً بها ، ونسجاً على منوالها » . ففهمت منها أن الذى يقول ذلك يكون « طبعة ثانية » للعقاد

وهنا كلام نقوله للناس ، وكلام نقوله لك :